

نهاية التاريخ بين تصوري ماركس وفوكوياما

برابح عمر*

جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر) omar.berrabah1975@gmail.com

تاريخ الاستقبال: 2021/05/05؛ تاريخ القبول: 2021/06/09؛ تاريخ النشر: 2021/06/30

ملخص: يهدف هذا المقال إلى إعادة قراءة تصورين هامين لحركة التاريخ ونهايته، التصور الأول لكارل ماركس الفيلسوف المادي الذي كشف عن زيف تصور هيغل في هذه المسألة، وإن كان قد استعان بأداته التي هي الديالكتيك، والتصور الثاني هو تصور فرانسيس فوكوياما المفكر الأمريكي الذي أعلن عن تصوره بعد تسارع الأحداث التاريخية وانتهاء الحرب الباردة إلى اتخيار المعسكر الشيوعي بعد سقوط جدار برلين وتفكيك الاتحاد السوفيتي. إن الغرض من إعادة القراءة هو الكشف عن حدود التصورين خاصة بعد صعود التنين الصيني الذي مثل إلى زمن غير بعيد الإيديولوجيا الاشتراكية من جهة، وتراجع فوكوياما عن كثير من آرائه بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001. ينتهي البحث في هذا المقال إلى الإقرار بصدقية التصورين ونسبيتهما، لأن التاريخ لا توقفه تصورات الفلاسفة أو آراء علماء الدين.

الكلمات المفتاحية: تاريخ ، مثالية ، مادية ، نهاية ، فلسفة.

Abstract:

This article aims to reread two important conceptions of the movement and end of history, the first conception of Carl Marx, the material philosopher who revealed the falsity of Hegel's perception on this issue, although he used his dialectic instruments, and the second is the perception of Francis Fukuyama, the American thinker who announced his vision after the acceleration of historical events and the end of the Cold War to the collapse of the communist camp after the fall of the Berlin Wall and the dismantling of the Soviet Union. The purpose of the rereading is to reveal the limits of the two concepts, especially after the rise of the Chinese dragon, which, not long ago, represented socialist ideology on the one hand, and Fukuyama retracted many of his views after 9/11, 2001. The research in this article concludes by acknowledging the sincerity and relativism of the two conceptions, because history is not stopped by philosophers' perceptions or the views of religious scholars.

Keywords: History , idealism , materialism , final , philosophy.

I - تمهيد : عني الفلاسفة والمفكرون بمسألتين هامتين، الأولى مبدأ الوجود، وقد تصدّى لتلك المسألة بالبحث مجموعة من فلاسفة اليونان الطبيعيين، رغم أن تصورات المبدأ وجدت في الثقافات الشرقية القديمة، أما المسألة الثانية فهي مسألة المصير التي عالجها الفلاسفة على مر العصور. لقد طرحت مسألة المصير في سياق ديني عقائدي ، فطرحت كثير من العقائد مسألة النهاية مثلما نجده في العقيدتين الزرادشتية والمانوية، إلا أن الطرح المسيحي كان أكثر دقة عندما جسدت المسيحية فكرة الفناء Apocalypse. وفي سياق المعالجة الفلسفية لهذه المسألة طرحت مسألة حركة التاريخ، فسعى بعض الفلاسفة إلى تقديم تفسيرات لهذه الحركة وترتبط هذه التفسيرات بالمذاهب الفلسفية الحديثة التي من أهمها المثالية المطلقة عند هيغل والمادية عند ماركس. لقد كشف هذان التفسيران عن حصر مسألة نهاية التاريخ في أوربا، فمع هيغل تصور أن الليبرالية هي أوج تطور حركة التاريخ، والتاريخ يتحرك من الشرق في اتجاه الغرب، بينما ماركس رأى أنّ التاريخ ينتهي عند تبني الإيديولوجية الاشتراكية، وسقوط الرأسمالية بفعل ثورة العمال، إلا أن فرانسيس فوكوياما قدّم تصورا فكريا عميقا يجمع بين الفلسفة والدراسة الاستراتيجية، فكشف عن الليبرالية الأمريكية باعتبارها تمثل نهاية للتاريخ رغم التهديد الإيديولوجي الذي يكشف عن العداء الذي استقطبته هذه الإيديولوجيا.

فكيف فسر ماركس وفوكوياما حركة التاريخ؟ وماهي الأسس التي بنيا عليها تصور نهاية التاريخ؟

II . نهاية التاريخ : بين المفهوم والتاريخ

مصطلح نهاية التاريخ مصطلح مركب من مصطلحي: نهاية وتاريخ، ويقضي منا البحث عن ضبط المفهوم البحث عن مفاهيم اللفظين المركبين له.

II . 1 . النهاية :

جاء في لسان العرب عن النهاية : " غاية كل شيء وآخره... والنهاية كالغاية حيث ينتهي الشيء وهو النهاء، يقال : بلغ نهايته وانتهى الشيء وتناهى : بلغ نهايته" ويربط ابن منظور بين الفناء والموت قائلا : "هو نقيض البقاء والفعل فيني يفنى...فناء فهو فان... هرم وأشرف على الموت هرما" (ابن منظور، د ت، ص 734).

كما حدد أندري لالاند في معجمه المصدر اللاتيني للنهاية فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Finis وهي تعني الحد، كما ذكر أن لها معان متعددة منها:

الانقطاع أو التوقف، الأمد أو الأجل، النقطة التي تتوقف عندها.

. فكرة الهدف أو الغاية أو القصد.

. المصير أو المال لكائن. (Lalande, 1962, p p 351- 352).

أما جميل صليبا فقد ذكر في معجمه الفلسفي ما يلي: " نهاية الشيء غايته وآخره، نقول: نهاية الظاهرة آخرها في الزمان، ونهاية الجسم حدّه في المكان... قال ابن سينا: النهاية هي ما به يصير الشيء ذو الكمية إلى حيث لا يوجد وراءه مزاد شيء فيه" (صليبا، د ت، 509).

ويربط البعض بين لفظ النهاية و العالم في سياق ديني، إذ ظهرت نظريات تهتم بدراسة نهاية العالم مثل نظرية العالم الآخر Eschathologie التي هي " نظرية دينية في المصير الأخير للعالم والبشرية، أي نهاية العالم أو يوم القيامة" (روزنتال ويودين، 1987، ص 539)، وأساس هذه النظرية هو ذلك الصراع الأبدي بين قوى الخير وقوى الشر الذي ينتهي إلى الموت وما يترتب عنه من جزاء. وبعد تسارع الأحداث التاريخية في نهاية القرن الماضي، ربط فرانسيس فوكوياما بين لفظة نهاية ولفظة إيدولوجيا، فظهر مصطلح نهاية الإيدولوجيا بعد سقوط جدار برلين واختيار ستة أنظمة شيوعية في أوروبا الشرقية بين شهري جويلية وديسمبر من سنة 1989، وقد وضع فوكوياما ذلك قائلا: "كلما اقتربت الإنسانية من نهاية الألف الثاني، فإنه يلاحظ أن الأزميتين المزدوجتين التسلطية والاشتراكية لم تتركنا في ساحة المعركة إلا إيدولوجية واحدة محتملة ذات طابع شمولي: هي الديمقراطية الليبرالية، عقيدة الحرية الفردية والسياسة الشعبية. فبعد معني سنة من إطلاقها للثورتين الأمريكية والفرنسية برهنت مبادئ الحرية والمساواة ليس فقط على أنها دائمة، بل أيضا على أنها تستطيع أن تنبعث من جديد". (فوكوياما، 1993، ص ص 68. 69).

II . 2 . التاريخ :

تحديد مفهوم التاريخ يميلنا إلى بحث ابن خلدون الذي يعرف بأنه أول من ضبط مفهوما له، كما أنه أول من عني بنقل التاريخ من خانة الأدب إلى خانة العلوم. إن التاريخ عنده " خبر عن الاجتماع الإنساني، الذي هو عمران العالم وما يعرضه لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبية، وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعدتهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران لطبيعته من الأحوال". (ابن خلدون، 2002، ص 46). إن هذا التحديد يختلف عن تحديدات سابقة، فأرسطو اعتبر التاريخ مجرد جمع للوثائق، بينما قسم فرنسيس بيكون التاريخ إلى قسمين: تاريخ طبيعي وتاريخ مدني، الأول يعني بتاريخ الأرض والمستحاثات، والثاني يهتم بموضوع الوقائع البشرية (صليبا، نفس المرجع، ص 228). بينما أسقط ديكرات التاريخ من قائمة العلوم الفلسفية في تعريفه الشهير للفلسفة الذي تضمن الميتافيزيقا وعلم الطبيعة والأخلاق والميكانيكا والطب.

II . 3 . نهاية التاريخ :

أول من استعمل المصطلح هو الرياضي الفرنسي كورنو (1801.1877) سنة 1861 وقد قصد بذلك الإشارة إلى اكتمال حركة التاريخ مع كمال المجتمع المدني. إن موضوع نهاية التاريخ ذو علاقة مباشرة بفلسفة التاريخ التي تحدف إلى البحث فيما وراء الحدث التاريخي، فإذا كان علماء التاريخ قد وحدوا منهجهم التاريخي، فإن الفلاسفة اختلفوا اختلافا واضحا في تفسير حركة التاريخ، ومنهم ابن

خلدون الذي وصف مُجدَّ عابد الجابري فلسفته في التاريخ بقوله: "إنها ابستمولوجية واعية بنفسها، واعية بموضوعها وأهدافها لا تقل أهمية ولا أصالة بالنسبة لعلوم عصرنا، عن بقية الابستمولوجيات المعاصرة لنا بالنسبة لعلوم عصرنا". (الجابري، 1986، ص 296). ويبدو هيجل في تفسيره للتاريخ عقلانياً، فالتاريخ تُحرِّكه الأفكار المتصارعة، وفق ثلاثة مراحل هي الإثبات التي يقرر فيها العقل وجود الموضوع، إلى مرحلة النفي التي ينفي فيها العقل الموضوع مثبتا النقيض، انتقالاً إلى التركيب الذي يظهر فيه مركَّب جديد يخلق انسجاماً بين القضية والنقيض (زروخي، 2013، ص 110 . 111)، أما مفهوم نهاية التاريخ فهو مفهوم يبقى محل تجاذبات مذهبية وإيديولوجية تحاول كل منها أن تثبت نفسها وتنفي الأخرى.

III تصور ماركس وفوكوياما لنهاية التاريخ:

III 1: التفسير الماركسي للتاريخ:

يقول جورج حنا: "كانت الاشتراكية في بادئ الأمر فكرة مثالية... قليلة الوضوح إلا بمقدار ما أوضحها اشتراكيون مثليون إنسانيون، من طراز سان سيمون وفورنيي وواین الذين كانوا يبشرون بنظام اشتراكي مستوحى من مبدأ الأخوة البشرية، والعدل الاجتماعي، وتوزيع الثروات، ومنع الاحتكارات...". (حنا، 1963، ص 215). إن هذا التصور الإنساني يوتوبي لم يبين على أي أسس علمية تمكن من تجاوز سيطرة الرأسماليين على أدوات الإنتاج، لذلك ظهر ماركس رافضاً لتلك المثالية التي تنأى عن الواقع البشري الملم، رافضة تقديم الحلول لعبودية الإنسان الكادح، وهو ينكر وجود أية حرية في مجتمع محكوم بنظام طبقي.

لقد اعتبر ماركس تاريخ المجتمع البشري تاريخاً للصراع بين الطبقات، وهذا الصراع يتم في المكان والزمان بين طبقتين: الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج، والطبقة الكادحة، والصراع هو القوة المحركة لعجلة التاريخ. إن ظهور الطبقة في المجتمع يكون عن طريق وسائل الإنتاج التي تعمل على تقسيم المجتمع إلى طبقة تحتية تستمد وجودها من وضعها الاقتصادي الهش، وطبقة فوقية تتحكم في وسائل الإنتاج ومن ثم يحدث الصراع بين الطبقتين. يستمد هذا التصور أصوله من النظرة الداروينية لتطور الأنواع، فهي ترى أن الصراع بين الأنواع الحية سبباً في وصول الإنسان إلى الحالة التي هو عليها الآن.

لم يبدأ التاريخ من اللحظة الرأسمالية، بل إنه نتيجة مسار حافل يبدأ عند ماركس بالمرحلة المشاعية القديمة، وفيها كان المجتمع لا يخضع لنظام وقانون ينظم شؤون البشر، بل هو مسير وفق قانون المشاع، إذ كل شيء مشاع بين الأفراد ولا وجود للملكية الفردية. في المرحلة الثانية يظهر المجتمع العبودي وهو مجتمع طبقي يتشكل من طبقتين: أسياد وعبيد، وفيه ظهرت بعض الصناعات البدائية كالصيد مثلاً، ثم تطورت الزراعة وظهرت الصناعات اليدوية التي أدت إلى ظهور المرحلة الإقطاعية التي سيطر فيها الإقطاعيون وهم ملاك الأراضي الزراعية على أقدان الأرض. لقد سنت القوانين التي تنظم علاقة الإنسان بالأرض، وعلاقة الإنسان بالإنسان، وهي قوانين تخدم النبلاء باعتبار النبالة شرطاً من شروط الانتساب للإقطاعيين. في المرحلة الرابعة تظهر الرأسمالية التي هي وليدة الثورة الصناعية، وهي مرحلة تتعقد فيها علاقات الإنتاج مع نشأة القوميات ونظام الحكم المركزي، فينقسم المجتمع إلى طبقتين، إحداهما تملك وسائل الإنتاج وتتحكم فيه، والثانية هي الطبقة الكادحة، لقد انتقد ماركس الرأسمالية قائلاً: "إنها تظل دائماً في جوهرها ديمقراطية من أجل الأقلية، من أجل الطبقات

المتملكة فقط، من أجل الأغنياء فقط". (ماركس وآخرون، 1975، 512). إن هذا الصراع ينتهي إلى حالة غياب الصراع عندما تغيب الطبقة بإلغاء ملكية وسائل الإنتاج، حيث يمتلك العمال المصانع والأراضي، لنرى الدولة تضمحل لاحقاً في المرحلة الشيوعية التي تعرف سيادة طبقة البروليتاريا التي تحكم وفق قاعدة: "من كل حسب طاقته، ولكل حسب حاجاته" (ماركس وآخرون، نفس المرجع، ص 518)، فتزول كل أشكال العبودية والاستغلال، وتتحقق آمال العمال في الحرية والمساواة.

III 2. نهاية التاريخ عند ماركس:

إن البروليتاريا في نظر ماركس هي التي توحد المجتمع البشري وتسمو به نحو المساواة عن طريق ثورتها ضد الطبقة المستغلة، ومن هنا كانت اشتراكية ماركس ثورية تسعى لإخراج العمال من السيطرة التي فرضها ملاك وسائل الإنتاج، يقول جورج بوليتزر: "الفلسفة الماركسية فلسفة علمية، وهي فلسفة العمال، وهي فلسفة حزب العمال، وفلسفة الطبقة الثورية التي يقوم دورها التاريخي على قهر البورجوازية، والقضاء على رأس المال، وبناء المجتمع الاشتراكي" (بوليتزر وآخرون، ص 21). الماركسية إذن هي نصيرة الثورات، لكنها وإن كانت تساند الثورة الفرنسية لكنها بالمقابل ترفض نتائجها، فهذه الثورة ثورة على الملكية والاستبداد والطبقة الاجتماعية أنتجت طبقة برجوازية لا تهدف إلا إلى تحقيق مصالحها، وقد استثمرت في ذلك العلم والمعرفة في سبيل الوصول إلى تحقيق أهدافها، فظهرت الرأسمالية كتنوّر حتمي للبرجوازية.

لقد مثلت الثورة البلشفية نموذجاً تطبيقياً لتصور ماركس للثورة، فقد نجح البلاشفة في الإطاحة بالقيصر الروسي، إلا أن فشل الثورة في ألمانيا في 1918 دفع بكثيرين إلى التشكيك في قدرة البروليتاريا على تحمل أعباء قيادة الدولة، لذلك يشترط ماركوز لحدوث الثورة وجود بروليتاريا واعية كما يرى ضرورة وجود تصوّر مبدئي لمرحلة ما بعد الثورة، إذ لا يمكن أن تقوم البروليتاريا بالثورة من أجل الثورة، وقبل ذلك ضرورة وجود تخطيط لهذه الثورة، وهذه الشروط ضرورية لأنه في غيابها قد تنحرف الثورة عن مسارها فتتحول إلى فوضى يغرق فيها المجتمع. لكن، ألا يمكن للسلطة أن تنتبأ بوجود مخطط للقيام بالثورة؟ يمكن أن يحدث ذلك، لذلك فإن ممارسة القمع والتسلط اللذان يميزان سلوك الدولة تجاه البروليتاريا، ينقلب أحياناً إلى تقديم تنازلات وامتيازات لهذه الطبقة، حتى تتمكن السلطة من الحفاظ على مصالح الطبقة الحاكمة، وفي نفس الوقت تستنزف طاقة البروليتاريا وتظهرها بمظهر الطبقة الانتهازية.

لقد أعلن ماركوز عن يأسه من قدرة البروليتاريا على القيادة، لكنه بالمقابل أعلن عن وجود قوى تحريرية بديلة لا يمكن للسلطة أن تشتري مواقفها، "إن هؤلاء الناس يقفون خارج الصيرورة الديمقراطية وحياتهم تعبر عن الحاجة الملحة والمباشرة والواقعية إلى وضع حدّ للشروط والمؤسسات التي لا تطاق أو تُحتمل". (ماركوز، 1988، ص 267).

III 3. تفسير التاريخ عند فوكوياما:

عاشت البشرية بعد الحربين العالميتين في نظام الثنائية القطبية، بمعنى أن العالم حكّمته إيديولوجيتان، إحداها هي الشيوعية بزعامة الاتحاد السوفياتي، والثانية هي الرأسمالية تنزعها الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن تسارع الأحداث التاريخية دفع العالم إلى العيش في ظل

حرب باردة ضعفت فيها سلطة المعسكر الشيوعي الذي بات يفقد يوماً بعد آخر حلفاءه، فقدم فوكوياما تصوراً للعالم في إطار قطب واحد تمثله الديمقراطية الليبرالية الأمريكية، فما هو الأساس المعرفي الذي بنى عليه فوكوياما تفسيره للتاريخ؟

تأثر فوكوياما بثلاثة فلاسفة هم أفلاطون وهيغل وكوجيف، والبداية مع أفلاطون ومفهوم التيموس Thimos الذي نجده في النفس الإنسانية، في ذلك الجزء الذي يسعى إلى إثبات ذاته وفرض اعتراف الآخرين به، ويعتبر فوكوياما أنّ هذا التيموس جزء من النفس ومن المجتمع ومن حركة التاريخ أيضاً. يقول: "فمن الأهمية بمكان أن تكون المعركة الأولية في بداية التاريخ معركة للاعتبار المحض... إن السبب الذي من أجله أقاتل هو الحصول من كائن إنساني آخر على اعترافه بكوني أخطر إرادياً بحياتي، وبأنني بالتالي حرّ وإنساني حقاً". (فوكوياما، نفس المرجع، ص 157).

إن التيموس يحمل جانبين: الجانب الأول هو الميغالوتيميا، أما الجانب الثاني فهو الإيزوتيميا، فأما الجانب الأول فيتبنى نزعة الاعتراف بالذات وهي تشكل إشكالية كبيرة في الحياة السياسية وفي الفلسفة بشكل عام، " ومنطق الاعتراف يقود في نهاية المطاف إلى الرغبة في أن يعترف بنا شمولياً أي إلى الإمبريالية". (فوكوياما نفس المرجع، ص 182)، وفكرة الاعتراف هي في الأصل فكرة هيغلية (جدلية العبد والسيد)، إلا أن الاعتراف الذي يقصده فوكوياما هو الاعتراف الذي تضمنته الديانة المسيحية التي تقر بتساوي العباد أمام الله، وهذا الاعتراف هو الضمان الوحيد الذي يسمح للبشر بالاندماج في الحياة الاقتصادية بما يؤهل المجتمع المدني إلى بناء حياة سياسية ذات ارتباط شديد بعالم الاقتصاد.

لا ينظر فوكوياما إلى التاريخ نظرة فلسفية تبحث عن معنى التاريخ ومساره، بل يذهب إلى ذلك التفسير الذي يشترك فيه عامة الناس، وهذا التاريخ له بداية ونهاية، والأحداث تتلاحق فيما بينها نحو الكمال الذي يمثل نهاية التاريخ، وهذا الكمال هو الديمقراطية الليبرالية، أما حركة التاريخ فمحكومة بالصراع من أجل الاعتراف. إن الجانب التيموسي في ذوات البشر هو الذي يدفعهم نحو اختيار الحكم الديمقراطي الذي يحترم ذواتهم، فيعاملهم كأفراد أحرار، ولا يكفي أن يكون اقتصاد السوق هو المسير للاقتصاد مالم يمن مقترنا بنظام سياسي حر، والتاريخ يكشف رفض الإسبان العيش في ظل استبداد فرانكو رغم تبنيه نظام اقتصاد السوق. (فوكوياما، نفس المرجع، ص 29).

III 4 . نهاية التاريخ عند فوكوياما:

يقول فوكوياما: "انتصار الغرب أو المثال الغربي ظهر في مقولة أن النظام القابل للحياة الذي يستطيع أن يحل محل الليبرالية الغربية قد فقد أمله في الوجود... ويمكن أن نلاحظ الانتشار الكبير لثقافة الاستهلاك الغربية: الأسواق الفلاحية، بيع أجهزة التلفزيون الملون في الصين...عشق الروك الذي اجتاحت كلا من براغ، رانغو، طهران". (فوكوياما، نفس المرجع، ص 79). إن المتأمل في واقع الليبرالية والديمقراطية يلاحظ أنهما متصلتان دائماً، لكنهما في حقيقة الأمر منفصلتان نظرياً، إذ يمكن أن تكون الديمقراطية دون ليبرالية، كما يمكن أن تكون الليبرالية دون ديمقراطية، فالجمهورية الإسلامية نجحت في تنظيم انتخابات مرضية نسبياً في بلد من العالم الثالث، وأمنت بذلك

ديمقراطية أفضل مما عاشه الإيرانيون أيام حكم الشاه، أما بريطانيا في القرن الثامن عشر فقد كانت تمثل نموذجاً ليبرالياً دون وجود الديمقراطية، فبعض الحقوق مكفولة للبعض دون البعض الآخر. (فوكوياما، نفس المرجع، ص 70).

ييدي فوكوياما انزعاجه من تصاعد التيار الإسلامي، ويرى أن الفراغ في قلب الليبرالية فراغ ايديولوجي يعالج بطريقة سياسية، وقلقه من التحدي الإسلامي للغرب نلمسه في قوله: "صحيح أنّ الإسلام يشكل نظاماً ايديولوجياً متماسكاً، شأن الليبرالية والشيوعية، وله نظامه الخاص وعقيدته الخاصة في العدالة السياسية والاجتماعية، فدعوة الإسلام ذات طابع شمولي... والإسلام في الواقع هزم الديمقراطية الليبرالية في أجزاء متعددة من العالم الإسلامي، وهو يشكل تهديداً للممارسات الليبرالية" (فوكوياما، نفس المرجع، ص 71)، لكنه مع ذلك يرى أن المشروع الإسلامي لا يمكن أن يكون عالمياً، شأنه شأن الأفكار الدينية الأخرى التي قبلت العيش تحت مظلة الليبرالية.

يبدوا إذن فوكوياما في موقفه من الثقافات الأخرى بوقاً من أبواق الدعاية الأمريكية التي تسعى إلى فرض النموذج الأمريكي، و"الدولة الشاملة والمنسجمة التي تظهر في نهاية التاريخ يمكن رؤيتها إذاً مرتكزة إلى دعامة مزدوجة مؤلفة من الاقتصاد والاعتراف" (فوكوياما، نفس المرجع، ص 199)، والصراع من أجل الاعتراف هو الذي يجرّك تاريخ الإنسانية، وهذا الصراع هو الذي يؤدي إلى نشوء لثورة الليبرالية التي أتمت الصراع التقليدي بين السيد والعبد، ومن هنا أصبح الإنسان معترفاً به في ظل هذا النظام، وفي هذه المرحلة ينتهي الصراع الإيديولوجي بوصول الليبرالية إلى تسيير شؤون البشر، وهنا تكون نهاية التاريخ، تلك النهاية التي تمثلها الديمقراطية الغربية التي حققت التيموس على الساحة السياسية، بمعنى حققت رغبة الاعتراف بالذات، والرغبة في المساواة. إن انتصار الليبرالية هو انتصار للفكرة قبل انتصارها على مستوى الممارسة، إذ ليس هناك ايديولوجية شاملة يمكنها منافسة الليبرالية كنظام نهائي تسيير وفقه البشرية، فنهاية التاريخ إذن هي النظام الليبرالي.

ينتهي التاريخ عند هيجل مع معركة ايننا iena سنة 1806، وعند ماركس مع نجاح البلاشفة في الوصول إلى حكم روسيا سنة 1917، وعند فوكوياما مع سقوط الدب الروسي سنة 1991، لكن التاريخ لا يزال متحركاً ولم يتوقف، "والخطر أن الفوكويامية لا تكتفي بإقصاء بقية العالم خارج التاريخ، وإنما تحكم عليه بالسجن المؤبد داخل قفص التاريخ ودورته المغلقة" (طويل، 1999، ص 77)، فعن أي اعتراف يتحدث فوكوياما إذا كان منطق التعامل بين أمريكا والدول الضعيفة يقوم على الاستغلال والاحتقار؟

إن المتأمل إلى واقع أمريكا يكتشف تلك الصراعات التي تعري فكرة الاعتراف، فالصراع بين البيض والسود يبقى قائماً رغم القوانين التي تساوي بين الأمريكيين. لقد أتمت أمريكا دورتها الحضارية، واستنفذت طاقتها، وبدأت عوامل سقوطها تظهر، فالجرائم في تصاعد، ومعاداة المهاجرين واقع لم تعد قيم قبول الآخر والاختلاف قادرة على تجاوزه. لقد كشفت أحداث 2001/09/11 عن الضعف الذي يعتري نظرية نهاية التاريخ عند فوكوياما، الذي اضطر لاحقاً إلى التحفظ في تقديم أحكامه وتصويراته، فلم يتصور أبداً أن الخطر الإسلامي يمكن أن ينتقل إلى الداخل الأمريكي في صورة مجموعة من الشباب فضلوا التضحية بأنفسهم على العيش في ظل قيم الحرية والديمقراطية.

إن تفرد أمريكا بتصور للعالم يقوم على نظرة شمولية لم يؤدّ إلا إلى قيام حركات مقاومة في العالم بأسره، تصنفها أمريكا على أنها حركات إرهابية، علما أن هذه الحركات التي كانت تستند سابقا إلى دعم الإتحاد السوفييتي، باتت حركات تلقى الدعم من مصادر غير معروفة، وإن قراءة عميقة لنفسية فوكوياما تشير إلى شعوره بالخطر الإيديولوجي الذي يتهدد أمريكا من الجنوب؛ الجنوب الذي أثنخته جراح الاستعمار والاستقطاب. إن القول بنهاية التاريخ الذي يرادف عند فوكوياما نهاية الايديولوجيا الشيوعية يفنده الواقع، ذلك أن أمريكا صوبت نيران ليبراليتها إلى العالم الإسلامي، وكانت البداية من أفغانستان ثم العراق وسوريا.

IV- الخلاصة:

من خلال ما تقدم يمكن استنتاج مايلي :

- . تقوم فلسفة نهاية التاريخ على مسلمة أساسية هي أن التاريخ يتحرك وفق منطق معين لكنه معرض للتوقف عند محطة معينة هي نهاية التاريخ.
- . ليس هناك اتفاق على تفسير حركة التاريخ في الفلاسفة، فابن خلدون مثلا رأى أن التاريخ يسير وفق حتمية معينة وبالتالي فهو محكوم بها، بينما رأى فولتير واضح المصطلح أن التاريخ يسير وفق منطق تقدمي.
- . رأى هيغل أن التاريخ يتحرك وفق دياكتيك الأفكار، وهو محكوم بالتوجه من الشرق إلى الغرب، وهذا التوجه ذو علاقة مباشرة بالحرية التي تبلغ مداها في الدولة الجرمانية التي تمثل نهاية التاريخ.
- . يرى ماركس أن التاريخ يتحرك وفق الديالكتيك المادي، فالصراع الطبقي هو الذي يحرك التاريخ ويوقفه، ونهاية التاريخ متوقفة إذن على نهاية الصراع، إذ ينتهي ذلك الصراع مع ظهور المرحلة الشيوعية التي تستكمل ثورة البروليتاريا.
- . لم يختلف فوكوياما عن هيغل بل تأثر به في تصوره لحركة التاريخ، لكنه رأى أن الليبرالية هي التي تمثل نهاية التاريخ، ويقصد بذلك النموذج الليبرالي الأمريكي.

الإحالات والمراجع:

الكتب :

- ابن منظور، (د ت) لسان العرب، م 3، د ط، بيروت لبنان : دار لسان العرب .
- ابن خلدون، (2002)، المقدمة، د ط، بيروت لبنان : دار الفكر .
- الجابري، محمد عابد، (1986)، نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، ط 5، الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي .
- الدراجي، زروخي، (2013)، نحو فلسفة للتاريخ، ط 1، غارداية الجزائر: دار صبحي للطباعة والنشر.
- بوليتزر، جورج وآخرون، (د ت)، أصول الفلسفة الماركسية، تر شعبان بركات، د ط، بيروت لبنان: منشورات المكتبة العصرية .

- حنا ، جورج ، (1963) ، قصة الإنسان، ط 4، بيروت لبنان :دار العلم للملايين.
- روزنتال و يودين، (1987) ، الموسوعة الفلسفية المختصرة، تر سميح كرم، ط 6، بيروت لبنان : دار الطليعة للطباعة والنشر.
- صليبا ، جميل ، (د ت) ، المعجم الفلسفي، م 1، د ط، بيروت لبنان : دار الكتاب اللبناني.
- فوكوياما، فرانسيس، (1993) ، نهاية التاريخ والإنسان الآخر، تر فؤاد شاهين وآخرون، د ط ، لبنان، مركز الإنماء القومي.
- ماركس، كارل وآخرون ، (1975) ، المادية التاريخية، د ط، بيروت لبنان : دار الفارابي.
- ماركوز ، هربرت ، (1988) ، الإنسان ذو البعد الواحد ، ترجمة جورج طرايشي ، ط 3، بيروت لبنان: دار الآداب .

المقالات :

- طويل عبد السلام مجّد، (1999) ، توظيف غير علمي لمصطلح علمي (التاريخ) ، العدد 277، المملكة العربية السعودية : مجلة الفيصل .

Books:

- André Lalande (1962) , vocabulaire technique et critique de la philosophie, 9^{eme} édition, Paris France : presse universitaire de France.